

القصص

صور من هوميروس

٧ - حروب طروادة القدائي الأول للأستاذ دريني خشبة

رَوَيْتِ الآلهة إِذْ نِ شَفَتْ مَا فِي أَنْفُسِهَا مِنْ ظُلْمًا إِلَى دِمَاءِ الضَّحَايَا ، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لِدَيَانَا الْبَارَةِ ، دَيَانَا رِيَّةَ الْقَمَرِ ، انْقَاذَهَا لِلْفَتَاةِ النَّسَمَةِ الْإِنْجِيَا ، وَهِيَ عَلَى قَابِ قَوْسَيْنِ مِنْ خُنَاجِرِ الْكَهْنَةِ وَالرَّبَّيْنِ الْقَسَاةِ

لَقَدْ أَبَتِ الْآلهة إِلَّا أَنْ تَشْرَبَ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ الْقَرْمُزِيَّ النَّدْفَقِ فِي عُرُوقِ عِبَادِهَا الْمُخْلِصِينَ مِنْ أَبْنَاءِ هِيلَاسِ ؛ فَلَمَّا ذَهَبَ كَالْخَاسِ ، عَرَّانَ الْجَمَلَةَ ، يَسْتَوْحِي أَرْبَابَهُ فِي مَعْبَدَاتِي هَلْ لَهَا مَطْلَبٌ آخَرَ فِي نَجْمِيَّةِ أَوْ قَرْبَانٍ بَعْدَ تَقَدُّمَةِ الْإِنْجِيَا ، ارْتَفَعَ الصَّوْتُ الْخَافَتِ الْمُنْبِثِ مِنْ صَمِيمِ مَقْصُورَةِ الْآلِهَةِ الْأَكْبَرِ يَقُولُ : « لَا وَلَكُمْ أَنْ تَقْلَعُوا الْيَوْمَ فَإِذَا كُنْتُمْ عِنْدَ شَطْرَانِ طُرُودَةِ ، فَإِنَّ لَنَا دَمَ الْفَارَسِ الْأَوَّلِ الَّذِي تَطَأَ قَدَمَاهُ رَمَالِ الشَّاطِئِ . . . سَيَقْتُلُ ، وَسَيَكُونُ لَنَا عَوَاضٌ مِنْ الْإِنْجِيَا ! »

وَدَعَا إِلَيْهِ أَبْنَاءَهُ (١) أَيُولُوسَ رَبَّ الرِّيَّاحِ السَّتِّ فَأَصْرَمَ أَنْ يَكُونُوا جَمِيعًا فِي خِدْمَةِ الْأَسْطُولِ الْهِيلَانِيِّ ، حَتَّى يَصِلَ إِلَى طُرُودَةِ « وَأَنَا أَعْرِفُكَ يَا أَيُّورِيسَ حِينَ تَمْصِفُ وَتَرْفُ ،

(١) (Æolus) رَبُّ الرِّيَّاحِ فِي المِثُولُوجِيَا الْيُونَانِيَّةِ ، وَهِيَ تَرْوِجُ مِنْ أَوْرُورَا فَاتَّجِبَتْ لَهُ أَبْنَاءَهُ السَّتَّةُ : ١ - أَيُّورِيسَ رَبَّ الرِّيَّاحِ الصَّالِيَّةِ ، ٢ - كُورُوسَ رَبَّ الرِّيَّاحِ الْعَالِيَةِ الْفَرِيَّةِ ٣ - أَكُوبِلُوَ رَبَّ الرِّيَّاحِ الْفَرِيَّةِ ٤ - نِيْتُوسَ رَبَّ المِثُولِيَّةِ الْفَرِيَّةِ ٥ - أَيُّورِوسَ رَبَّ الرِّيَّاحِ الْعَرَقِيَّةِ ٦ - نَمُزِيدُوسَ رَبَّ النِّسِيمِ المِثُولِيِّ (عَنْ ه. أ. ج. ر. ١٨٤)

وَتَصْبِحُ وَيَلَا عَلِيَّ المِثُولِيَّةِ أَيُّ وَيَلُ ؛ وَأَنْتِ يَا كُورُوسَ ، يَاكَ وَهَذِهِ المِثُولِيَّةِ الَّتِي تَمُتُّ بِهَا سَفَائِنُ الْقَوْمِ ، وَأَنْتِ يَا كُوبِلُوَ ؛ وَأَنْتِ أَيْضًا يَا نِيْتُوسَ ، إِنْ رِيحُكَ تُجْفِلُ ، وَهَبَّتْكَ هُوَجَاءُ ، وَلَفْحَاتِكَ حُرُورُ ، وَأَنْفَاسُكَ سَمُومُ ، فَإِنَّ لَمْ تَتَرَفَّقْ بِالْقَوْمِ ، وَتَجْرَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ رِخَاءً ، فَلَأَسْجُنَنَّكَ فِي الكَهْفِ الْأَسْوَدِ حَتَّى حِينِ ، أَمَا أَنْتِ يَا وَلَدِي أَيُّودُوسَ ، فَاحْذَرِي أَنْ تَصِيبَ النَّاسَ سَوَافِيكَ أَوْ يَسُوءَ فَالْهُمُ فَيْكَ ؛ بَلْ كُنْ لَهِمْ خَادِمًا أَمِينًا ، تَدْفَعُ رِجْلَهُمْ فِي رَفْقٍ ، وَتَعْلَأُ شِرَاعَهُمْ فِي أَمَانَةٍ وَيَسْرُنِي أَنْ تَسْمَعُوا النَّصِيحَةَ زَفِيرُوسَ ، مَهْرُ أَلْيَنِكُمْ عَرِيكَةَ ، وَأَكْثَرُكُمْ صَفَاءً . . . أَلْقُوا إِلَيْهِ بَزْمَانِكُمْ ، وَلَا تَخْتَلَفُوا فِي أَمْرِ بَاقِيهِ إِلَيْكُمْ ، أَصْلِحْ لَكُمْ زِيُوسَ أَحْوَاكُمُ »

وَهَبَتْ الرِّيَّاحُ خَفَقَتْ أَفْسَدَةَ العِيسِ ، وَابْتَهَجَتْ أَنْفَسَ القَادَةِ ، وَاجْتَمَعَ المِثُولِيَّةِ حَوْلَ أَخِيلِ بِتَرْضُونِهِ وَيَتَذَرُونَ عَنْ رِجْمِهِمْ إِلَيْهِ يَوْمَ التَّرْبَانِ المِثُولِيِّ ، ثُمَّ انْتَشَرَتْ الشِّرَاعُ وَرُفِعَتْ المِرَاسِي ، وَهَمَّتِ الفِلكُ فَاحْتَوَاهَا البَحْرُ اللُّجِّيُّ ، وَمَاعْتَمَتْ أَنْ صَارَتْ مِنَ المَاءِ وَالسَّهَاءِ فِي خَضْرَتَيْنِ ، وَمِنْ دَرُوعِ الجُنْدِ وَزَيْدِ المَوْجِ فِي لَبْدَتَيْنِ ، وَمِنْ قُلُوبِ الشَّجَبِ المَاطِفِ فَوْقَ الشَّاطِئِ الشَّاحِبِ فِي بَحْرِ مِنَ الْأَمَالِ !

وَاضْطَرَبَ البَحْرُ بِمِرَاسِ المَاءِ وَأَبْكَاهُ ، أَسْرَعَنْ مِنْ كُلِّ فَيْجٍ يَحْيِيْنَ أَبْطَالَ هِيلَاسِ ، يُخْفِضِينَ الوِشَاحَ السُّودَاءَ الَّتِي ادْخَرْنَاهَا لِأَيَّامِ الفِصْلِ ، إِنْ أَيَّامِ الفِصْلِ كَانَتْ مِيقَاتًا

وَنَوَارَتْ الشَّمْسُ بِالمِثُولِيِّ ، وَبَزَغَ القَمَرُ بِفَضْفَضِ حَوَاشِي المَاءِ ، وَحَمَلَتْ النُّجُومُ تَرَى إِلَى هَذَا الْأَسْطُولِ اللُّجْبِيِّ بِمِخْرَ عِيَابًا مِنْ خَلْفِهِ عِيَابٍ ، وَيَطْوِي لَجَّةً مِنْ وَرَائِهَا لَجَّةً ، وَالمِثُولِيُّ دَائِبُونَ مَا يَنْوِنُونَ ، مَرْسَلِينَ فِي اللَّاهِيَةِ الْخَالِصَةِ ، مَرْدَدَةَ الرِّيَّاحِ أَغَانِيَهُمْ وَأَتَانِيَهُمْ ؛ وَالقَادَةُ مِتْكَابِكِيُونَ حَوْلَ القَائِدِ الْأَعْلَى ، حَوْلَ أَلْجَمْنُونِ ، يَدْرُسُونَ تِلْكَ الخَطَّةَ ، وَيَتَقَدُّونَ هَذِهِ الفِكرَةَ ، وَيَدْبُرُونَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا يَصِلُ بِهِمْ إِلَى نَصْرِ عَزِيزِ

وتدق طبول الوغى ، وتذكى نيران الحراسة في قمم الجبال ، فلا
تغفل عين ولا تهمد همة ، ولا يتسرب إلى النفوس كلال
واقترب الأسطول من الشاطئ
ولكن أحداً لم يجسر أن يجازف بنفسه ، لأن القتيل الأول ،
هو أول من يهبط إلى الأرض ، كما أخبرت النبوءة في معبد داني ،
وسرت أيام : والهيلانيون في سفائنهم ينظرون إلى أبراج
طروادة وبفاجها ، ويتحرقون شوقاً إلى لقاء جنودها ، ومن لا يوس
يحرق الأرم هو الآخر ؛ ولكن أحداً لا يرضى أن يكون القدائي
الأول . . . « لأنى إذا نزلت إلى هذا البر المخوف فيكون الموت
محتوماً على ، دون أن أستطيع إلى تثل أحد من هذا الجند من
سبيل ، وأنا لم أحضر إلى هنا لأكون قرباناً للإلهة ، ولكن
لأزاحم وأنافح وأسول ، فان قتلت بعدها ، فبمشرات وعشرات ،
لا كما يقتل كلب البرية غير مفدى . . . »

بروتسيولوس البطل

بيد أن هيلانياً مقاحماً ، هيلانياً واحداً ، من خيرة القادة
ومذاويدهم ، عز عليه ألا يكون في هذا الجيش المرمرم ، على
ما جمع من صنائد اليرمان ومغاويرهم ، قدائي واحد يتاق الطمعة
الأولى النجلاء ، بشعر باسم ، وقلب لا يجزع ، ونفس مؤمنة
مطمئنة لا تهلع في موقف الموت ، ولا تفرق إذا حُمّ القضاء ،
كبر على بروتسيولوس أن يرمى قومه بجبن ليست لهم يد فيه ،
وكبر عليه أن يقف ألف ألف لو شاءوا دكوا الجبال وزلزلوا
السموات ، من دون هذا البلد لا يتقدمون ولا يتأخرون ، كأنا
حربهم هزل ، ونفيرهم مكاء ، وعزمهم تلفيق . أو كأنا ملأوا
الدنيا وعيدا لتمتلى الدنيا عليهم سخيرة وضحكا .
كبر على بروتسيولوس ألا يكون هو شيد هذا الموقف ،
فارتخص نفسه ، وهانت عليه الحياة ، وتفتت في عينيه لئانذ
هذا العيش الدليل ؛ ثم استخار أربابه ، واستعاذ بسيد الألب ،
وما هو إلا أن لمح الشمس يذر قرنها في خدر الشرق ، فوق
جبين طروادة ، حتى قذف بنفسه على الشاطئ ، وأرسل في
الخافقين صيحة الحرب كأنها رعد يمد به جانب الجبل ، وتمتر
من قصفه أسوار المدينة ؛ ثم جال جولة هنا وجولة هناك ، وإذا
بالسهام ترشقه من كل مكان ، وإذا هو ملق على أديم الترى
مضرجاً بدمه ، مغفر الجبين بأول تقع الوغى

وتنفس صباح اليوم الثالث . . .
وبدت طروادة العاتية في الأفق الشرقى ، متشحة بالشفق
النحاسى ، التى صبغ مياهها بالبنفسج الرائع ، تنفجر منه أنهار
من الدم ؛ !
طروادة !
ذات الأبراج الشيدة ، والقباب النيفة !
إلى اليوم !! (١)
بنيية (٢) نبتون إله البحار يوم نفاه زيوس من جنة
الأولب ، ونقى معه أبولو ، فساعده في بنائها بموسيقاه !!
إما أروعة منظر أن ترى إلى أبولو العظيم يعزف على
قيثاره المُرنة ، فتنب الحجارة وتراقص ، وتقفز إلى مكانها
من أسوارك يا اليوم !!
طروادة يا ذات الحول !

أين تنام هيلين الساعة سائلة حاملة ، وأيان تنقلب زرب
فينوس ملء ذراعى باريس !!
وبحك يا منالايوس !
إنه ينظر بعينين مشدوهتين إلى أسوار طروادة ، يتمنى لو
تندك على العاشقين الآتين !!
« . . . أهو الآن يقبلها ، ويجبى جنا خديها بغمه النهم
المشتمل ؟ أم هو يضمها إليه في عنف ، غير أنه لقلبي الخفافق
المضطرب ! »
منالايوس لا بد مما ليس منه بد . . .

لقد ترامت أخبار الحملة الهيلانية إلى طروادة فهب أهلها
البواسل يستعيدون ويستعدون جيرانهم فنصروهم ولبوا نداءهم ،
وهرعوا إليهم من كل فج عميق ، وهامى مشارف الجبال وقتنها
وسفوحها ، وتواء الشاطئ ، وسخوره ومغاوره ، وهامى ليدياً
التيقظة ، وإبوليا التحفزة ، وإيونيا الرابضة (٣) . . . هامى
البلاد جميعاً تضحج بالجند ، وتمجج بال سلاح ، وتقعقع بألة الحرب ،

(١) (Ilium) هي طروادة أيضاً ، ومن هنا الأسم اشتق هوميروس
كلمة (إلياذة) للمعنى الخالصة (Iliad) . وعلى ذكر الألياذة نبيه القارى
إلى أتنا — حتى هذا الفصل — لم نصل إليها ؛ وسنشير إلى ذلك في جنة
(٢) إشارة إلى أن نبتون هو الذى بناها
(٣) هذه أقاليم قديمة في غرب الأناضول مما يجاور طروادة برأ وبجراً

رعدة من الدار الأخرى

وذاع حبر مقتله حتى انتهى الى تساليا ، حيث زوجته
الفجعة ، فحزنت عليه حزناً أمض قلبها ، وشعث جسمها ،
وأفض مضجعا ، وصير الحياة في عينها حلكاً شديداً وظلاماً
قاعاً ؛ « يرتيلوس ! أهكذا يا حبيبي ذكرت كل شيء
في ميدان المجد والشرف ، ونسيت فيه كل شيء ؟ أهكذا يا حبيبي
ذكرت التصحية والأقدام حين نخاذل مواطنوك عن مواطن
التصحية والأقدام ، ففانرت بنفسك في هذا المترك المصطرب ،
ونسيت أن وراك قلباً ينمقد ، جاؤه لك ، ونفساً ترف من خلف
البحار فوقك ، وروحاً لا سكن لها إلا صدرك الخنون ، وعينين
لا يفرقان جمال الحياة إلا في وجهك الشرق ، وأذنين ما التذنا
إلا الموسيقى المنكبة من فك ! ! يرتيلوس ! ما قيمة الحياة
بمدك يا حبيبي ! من لزوجتك الناعمة يوم يفخر النساء بأزواجهن ؟
من للحزونة الكاسفة لاووداميا ؟ ما أشق الحياة على بمدك
يا رجلى ومن كنت كل شيء لي !

لا أسخط عليكم يا أرباب !

بل أنا أصلى لكم ! أصلى لكم بدموعي وقلبي ! أصلى لكم
بأحشائي التي تتمرق ، ورأسي الذي يحترق ! أصلى لكم بلساني
الذي يحرق من شرق في حلقى ، وكان حديث يرتيلوس
يرطبه ويندبه ! أصلى لكم يا أرباب الأولي عسى أن تلين قلوبكم
لي ، فأرى حبيبي وأموت ! !

رجية بسمرة على مقدرتكم يا أرباب الأولي ! إما أن أفضى
فأسترح من هذا الكمد الممض ، والبث المؤلم ، وإما أن تأذونا
فيعود يرتيلوس ، فأراه وأموت !

أتمنى عليكم أن يعودوا فكله ... أملاً أذني وقلبي من موسيقاه !
أناديه باسمه وينادي بي باسمي ! يمانقني وأعانقني ! يرى الى عبراتي
وأنظر الى عبراته ! يبتسم لي في رضاه وفرحه ، وأبتسم له في
انكساري ولوعتي !

إنذونا يا أرباب الأولي ، فانا ما أفتنا أصلى لكم ، وأتوسل
إليكم بدمه الركي ، وروحه الأبى ، وقلبه الكبير !

إرحموا ذلي ، ورفقوا الهواني ، وارثوا الحالى «

وصيرت بنواحيها إشراق الصباح ظلمة من الحزن لا أول

لها ولا آخر ؛ وأرسلت في الليل البهيم أناتها المؤلمة ، وزفراتها
الحارة ؛ ووصلت بكاءها الطويل بصلاتها الخاشعة ، حتى ارتجفت
قواعد الأولي ، واهتزت عروشها الذهبية ، وانمقدت بينه وبين
لاووداميا قنطرة من الحزن ، عبرت عليها بركات الآلهة الى فؤادها
المكروم ، فسحت عبراتها ، وهدأت من روعها ، وبشرتها
بعودة يرتيلوس !

وفي هدأة ليلة قمرية ، سكن هواؤها وسدح بلبلها ، وأنشد
البدر لحنه الصاوي على آراداه الفضية ليغمرها بهاء وروعة ،
خرجت لاووداميا المحزونة من قصرها المنيف ، لتلقى روح
يرتيلوس يهدمه هرمز الكريم بين يديه ، حتى يكون تلقاه
زوجها ، فترتمى بين ذراعيه !

ويفرقان في طوفان من القبل !

ويفرقان في لجة من العبرات !

ويقصر عليها يرتيلوس أبناء مقتله ... فتبكي ... وتبكي ...
وتماثبه لاووداميا ... وتمثله ... ولكن الساعات الثلاثة التي
سمحت بها الآلهة للقائهما تمر كاللح ... فينبهما هرمز الى
انقضائها ... وماتكاد تسمع نذير هرمز ، وتعرف أن زوجها عائد
أدراجه الى هيدز ، فيظل فيها الى الأبد ، حتى تصعق مكانها ،
وتخر مشياً عليها ... وتموت !

فوا رحمتاً للزوجين السعيدين

(لها بقية)
دريش فحبة

مصلحة الطرق والكباري

تقبل العطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة مدير
عام مصلحة الطرق والكباري بوزارة المواصلات بمصر
لغاية ظهر يوم ١٢ أكتوبر سنة ١٩٣٥ عن توسيع وتغيير
السطح العلوي بأرضية من الخرسانة المسلحة للكوبريين
الواقعين على مصرف سقارة وجناية البدرشين تحت الطريق
الموصل من سقارة للبدرشين بالقرب من البدرشين
بمديرية الجيزة

وتمن دقت الشروط مائتا مليم ومصاريف البريد

خمسون ملياً

الباقى على قيد الحياة

للقصصى الفرنسى بلزك

ترجمة حسن محمد حبشى

حين دقت ساعة مدينة (مندا) الصغيرة مؤذنة بانتصاف الليل ، كان ضابط فرنسى شاب متكئاً على حافة سيجاج طويل يحيط بالقلمة ، غارقاً في لجة التفكير العميق ، وذلك أمر غير مألوف بالنسبة لما يحيط به ، ولكنه كان منصرفاً عن كل ما هو فيه من وقت وليل ومكان إلى التفكير القوي ، وكانت سماه أسبانيا الجميلة تمتد في زرقة صافية فوق رأسه ، قد رُصِّعتْ بالنجوم الألامه ، وضوء القمر الساطع ينير هذا الوادى الجميل المتدحمت قدميه ، وهو يشرف على مدينة (مندا) ويملؤها بمائة قدم ؛ وكأن الطبيعة قد هيأها هكذا لتكون في مأمن من رياح الشمال الآتية من هذه الصخرة الكبيرة التي تقوم عليها القلمة ، وإذ أدار الضابط رأسه ، أبصر البحر يكتنف البهجة بأمواله الفضية ، وكأنه قد استحال إلى قطعة من اللجين الذائب ، وكأن القلمة كوكب أو جوهر ضوء وهاج ، وكان وهو في مكانه ، يسمع صدى رنات الموسيقى ، وعربة الضباط في الحفلة الراقصة ، وقد اختلط ذلك بهمة الأمواج الآتية من بُعد ، وكأن نسيم البحر والليل جددا نشاطه التهوك ، زد على ذلك ما حوله من حدائق فيحاء ، وزهور عطرية الشذا ، نفاحة الأريج ، فكانه مغموس في حمام من المطر الركي

وكانت قلمة (مندا) في حوزة شريف إسباني ، اتخذها وأسرته دار إقامة ، وكانت ابنته الكبرى (كلارا) الجميلة ترمق الضابط الفرنسى الشاب بنظرات مبهمة ، وإن كانت تم عن حزن عميق

وكانت كلارا هذه فتاة رائمة الحسن ، فوقع جلها في قلب الضابط الفرنسى موقع الماء من ذى الثلة الصادى ، فوقف واجماً يفكر في هذا الجمال ، وبالرغم من أن ثروة أبيها كانت طائلة ، وموزعة بينها وبين إخوتها الثلاثة وأختها ، فقد رأى فكتور مارشاند (الضابط) أن فيها الكفاية لأن تكون اللوطة

كبيرة ، ولكن كيف يتسنى له أن يخطف يد (كلارا) ابنة الشريف الاسباني ، وهو ابن تاجر صغير في باريس ، أضف إلى ذلك ما بين الأسبان والفرنسيين من إحترام

وكان الجنرال (ج) قد علم من مصدر سرى أن المركيز يحاول أن يوقد مشعل الثورة لنصرة فردناند السابع ، ولذا أرسل مرشاند ليصكر في مدينة (مندا) حتى يكون على علم تام بما يتويه الثوار ، ولكي يحمى أى حركة يقومون بها ضد الفرنسيين ، وفي ذلك الوقت وصلت إشارة بأن المركيز يتصل سرّاً بالادارة الانكليزية في لندن ، وليس من البعيد أن يرسل الانكليز مدداً ؛ ومما حير لب فكتور مارشاند أن المركيز قد استقبله وعائلته استقبالاً لا يدل إلا على منتهى الهدوء ؛ ووقع بين أمرين ، إذ كيف يوفق بين هذا الهدوء الذي يتجلى في المركيز وأعماله ، وبين إشارة الجنرال من وجود مفاوضات سرية ؟ ولكن سرعان ما تلاشت هذه الخواطر من ذاكرته ، حيناً فمد بصره إلى الأمام ، فأبصر عدة مصابيح مضاءة في المدينة ، مع أنه أصدر أمره ، بأن تطفأ الأنوار كلها في ساعة معينة ، على رغم أن الليلة ليلة عيد ميلاد القديس سنت جون ، ولم يسمح بالأتارة إلا للقصر نفسه ، ومما أحال الشك بقينا عنده ، وبأن هناك يدأ تعمل في الخفاء أن رأى ساريات عدة مراقب وسط مياه البحر ، تحت أضواء القمر الفضية . وبينما هو ساح في تيار التفكير العميق إذ سمع وقع أقدام خلفه ، ولما تبينها وجد أحد رجاله يلمث ، وحين رآه قال له :

- أهو أنت ياسيدى الضابط ؟

- نعم هو أنا... ماذا تريد ؟

- إن هؤلاء الوحوش يزحفون زحف الديدان

- ثم ماذا ؟

- لقد رأيت رجلاً يخرج من القصر وفي يده مصباح مضاء ، وهذا مما أثار الشك في نفسى ، وبشئى على أن أفتق آثوره ، وأظن قريباً منه جهد ما أمكنتنى ؛ أجل ! قد يكون مسيحياً محافظاً على التقاليد ، غير أن الحالة التي هو فيها ، ومخالفة أمرى ، كل ذلك مما يجعل الشك يحوم في نفسى . وتم أمر آخر ياسيدى الضابط ، ذلك أني اكتشفت على قيد خطوات منك ، عرمة من الحطب

فأجاب الجنرال : « سيكون القتل نصيبك ، ولكن دعنا الآن من هذا ، وهيا ندير خطة ننتقم بها من هؤلاء الأوغاد ، أوشاب الانسانية ، لابد أن يكون الثأر شديداً ، حتى تمخض في نفوسهم الوحشية والدناءة »

وفي ساعة من الزمن ، شلت فرقة من الجند رحالها ، على رأسها الجنرال ، بصحبة الضابط فكتور ، وإذ علم الجنود بمصير زملائهم الذين أخذوا على غرة ، ثارت في عروقهم دماء الانتقام واستحالوا شبهة تتأجج لحرق الاسبان ، وأقسموا أن ينتقموا لآخواتهم أشد انتقام ، وسرعان ما قطعوا المسافة بين مدينة مندا ، وبين مركز القيادة العليا

ورأى الاسبان أنفسهم محاصرين ، وعلموا أن الجنرال لا يتردد لحظة في الفتك بأهل المدينة ، لا تأخذ في ذلك شفقة ولا رحمة ، فبشوا اليه رسل المهادنة ، ورضى هو أن يسلم كل من في القصر أنفسهم اليه ، من أحقر الخدم الى المركز نفسه ، وأخذ القصر مركزاً للقيادة ؛ وأمر بكل فرد من أفراد الأسرة الحاكمة ، وخدمها أن يقيد ، ونكل بالثوار أشد تنكيل ، ولم يرحم رجلاً ولا امرأة ولا طفلاً ، بل ثارت فيه غريزته الوحشية ، وبينما هو في مجلس من رجاله إذ أقبل عليه فكتور مارشاند ، وقال له :

- أسألك يا مولاي أن تجيب لي طلباً ، هو أن المركز يرجوك أن تفرق بين الأشراف والمامة ، وذلك بأن تطيح برقابهم بيد الجلاد لا بالشفقة ، وأن تفك قيودهم التي كبلوا بها ، ولن يحاولوا الهرب ، وذلك عهد قد قطعوه على أنفسهم ، وإنه ليتخلى لك عن جميع أملاكه وأمواله إذا عفوت عن أحد أبنائه ووهبته الحياة فقال الجنرال : إن أمواله قد أصبحت تباعاً لذلك جوزيف ، ولكنني سأهبه ما طلب ، وإن كنت أعرف علة رجائه ، في أن يبقى اسم الأسرة ، يبقاء أحد أفرادها ؛ سأهبه ذلك ، لمن يرضى أن يكون جلادهم ، ويطيح برقابهم ، والآن لا تذكر لي شيئاً عنهم ألبتة

اجتمع الضباط في الحجرة التالية يتناولون غداهم ، وكانوا في نهم شديد إثر ما كبدهم من نصب وتعب ، فأقبلوا على الطعام كالوحوش الضارية قد أنشبت مخالبها في فريسة دسمة بمد طول سنب ، وتفقدوا الضابط فكتور ، فلم يجدهم بينهم ،

ولم يكذ الجندي يصل إلى هذا الحد من الكلام حتى دوت في المكان صرخة سعدت السكون العميق ، وانفجرت قبيلة أودت شظية منها بالجندي لساعته ، واندمع لهيب النيران على بعد عشر خطوات غسب ، من الضابط الذي أسقط في يده ، وتبين له أن في الأمر دسيسة ، وأن الثوار قد تأهبوا للفتك بالأعداء ، واضطرب في مكانه ، إذ لم يكن معه حسامه ؛ وما هو ذا يرى رجاله وقد تردوا في ساحة المدينة ، وصمتت الموسيقى ، وتلاشت ضحكات الضباط ، ومر على غمخته ما سيلاقيه - إذا هو ظل حياً - من عاكمة وإهانة ، فلم يجد أمامه من وسيلة للنجاة إلا أن يلقي بنفسه في سفح هذا الوادي ، حيث يتحطم جسمه على سخوره الجامعة هناك :

وإذ كان على أهبة تنفيذ ما اعترم ، أحسّ يداً أعاقته عما هو قادم عليه ، فاشرب إلى صاحبها ، فاذا به (كلارا) تهيب به ، أن أسرع فان إخواني على آفاري قادمون للفتك ... بك ؛ وامض إلى الصخرة القائمة عند سفح التل ، وستجد حصان أخى (جوانيتو) قامتله ولا تترث لحظة ، وإلا فقدت حياتك

لحق الفتى فيها دقيقة ، وقد قاضت نفسه بالدهشة ، ولكنه تنبه أخيراً ، إذ ثارت في نفسه غريزة حب الحياة ، تلك الغريزة التي تتمثل في الجميع على السواء ، في حيوان أو إنسان ، وحمل اليه الريح صدى صوت (كلارا) تهيب بأختها ، ألا يترشوا في اقتفاء آثاره ، كما سمع وقع حوافر دوابهم تسابق الريح ، وهم على صهواتها يرسلون عليه وابلاً من الرصاص الذي كان يمر بجانب رأسه ، ولم يتمهل هو الآخر لحظة في الطريق بل أسرع بالجواد ، وبعد بضع ساعات كان في حضرة الجنرال ، وكان في ثلة من إخوانه يتناولون طعامهم ، فارتقى أمامه قائلاً :

- « مولاي . إن حياتي بين يديك ، افعل بها ما تشاء ؟ » ثم أخذ يقص على الجنرال قصته ، فاذا الجميع ينصتون اليه وكأن على رؤسهم الطير ، على وجوههم غيرة ، ترهقها قتره ، وألجم الخبر أفواههم ، وجعلهم آذاناً غسب ، فلما أتمها قال له القائد العام : - « يا هذا إنى أراك سيّ الحظ ، أ أكثر من أن تكون مذنباً ، لا تتريب عليك ، وإنى لأبرى ساحتك ، إلا إذا رأى المرشال غير هذا »

فسأله الضابط : « وإذا سمع الامبراطور بالحادثة ؟ »

والأسى والقضب في عينيه الحائرتين ، فلما رأته (كلارا) إصرار
أخيها على الرفض ، تركت مكانها الى حيث جوانيتو ، وطوقت
عنقه بذراعها الضمتين ، وجثت أمامه ووقبلته في عينيه قائلة :
- « أي جوانيتو : يا أعز ما أملك ، آه ... ما ألد الموت
إذا كان من يدك ... إنك لا تدري حلاوته ... كأشعر بها
الآن ... أنتقذني .. يا جوانيتو .. من يدي السفاح .. الموت
اليدين ... حتى لا يقال ... إن جلاداً حقيراً ... أطاح رقاب
المائلة الحاكمة .. وأنتقذني من بين برائته .. وبرائن رجل آخر »
ثم نظرت شذرا الى فكتور ، نظرت اليه نظرة تفيض حقداً
وكرهية واحتقاراً ، وكأنها بذلك تثير في نفس أخيها الحقةارة
للفرنسيس ، وتشمل الضغينة في نفسه عليهم ، ... ثم قال له
أخوه فيليب متوسلاً : « كن شجاعاً صنديداً وإلا عوت
عائلتنا الشريفة من العالم »

وأمره الأب ، فلم يلب طلبه ، فجثا أمامه ، هو وإخوته جميعاً
ورفعوا أكتفهم متوسلين اليه أن يضع الصلحة العامة
فوق الصلحة الخاصة ، وأن ينقذ اسم العائلة من أن يدنس ،
وعرف الأب من أين تؤكل الكتف ، فأهاب به قائلاً : « أي
بني .. أغادرتك شجاعة الاسباني ، وإحساسه الشريف ؟
أأجتو أمامك ... وأتوسل اليك ... ولا ترد طلبي إلا خائباً ؟
أنتفكر في أمك غيب .. ولا تزنه بالآلنا جميعاً .. إذا أصرت
على المكابرة » ثم التفت الى زوجته قائلاً : أهذا ولسي يا زوجتي ؟
فصاحت به الأم في يأس : « سيلبي طلبك .. أيها الركز !! »
ولمحت جبين جوانيتو ينمقد أكثر ، وتبينت أنه يأم لها أكثر
من الجميع ، وحينذاك كانت الثانية «ماركينا» قد تلمقت بأطراف
ذيل أمها ، بقبضتها الضميفتين ، وأخفت تذرف الدموع ،
فلما شاهدها « فيليب » اتهرها ولاها ، وإذا ذلك دخل الحجره
كاهن المدينة ، فالتفوا حوله كصغار الطير ، ومضوا به الى
جوانيتو الصامت ، فلم يستطع مرشاند ، أن يرى هذا المنظر
الآليم ، فبارح الترفة الى حيث اجتمع الجنرال مع بعض قواده
يجرعون الخمر ، وقد أصدر أمره باحضار فرقة من الجنود
تذب الناس عن أن يقربوا من جثث الخدم المشنوقين ، مدلاة
أمام أعين السابلة ، ووقف الجلاد بهيئته المفزعة ليحل مكان
جوانيتو إذا خائنه شجاعته ، ولم يستطع أن يقوم بتنفيذ

ذلك لأنه مضى الى الحجره التي فيها عائلة الركيز وآله أنت
يرى سادة الأسس مقيدين كالبيد ، قد ارتسخت على وجوههم
دلائل الأسى الشديد ، واللوعة المرة ؛ وأي لوعة أشد على النفس
من أن يرى المرء عبداً حقيراً يتحكم فيه وهو السيد الحاكم ؟
وسرت رعشة في جسد الضابط حين فكر في هذه الزهوس
الجميلة ، وانها ستهوى على أقدام الجلاد مصبوغة بالدماء ، وكأنها هم
كانوا يفكرون في هذا الأمر نفسه ، فقد بمتروا حولهم تهنيدات
الأم والحزن التي ملأت جو الغرفة ، وإذا أبصروا فكتور يدخل
حجرتهم اشرايت أعناقهم ، طعماً في أن يكون حاملاً اليهم
بشرى العفو ، فأمر الجنود أن يفكوا قيود السادة ، ومضى هو
بنفسه يحمل وثاق (كلارا) فقابلته على صنيعة هذا بايتسامه
اغتمصتها اغتصاباً ، ومس في رفق ذراعها البضة الناعمة ، وأعجبته
نخصلات شعرها الفاحم ، التهدل على جبينها الوضاء ، وفتنة
قدمها المشوق الجميل ، وخصرها الأهيف ، فسألته هل نجح في
مهمته ، فهمهم مهمة حزينة ، وجمال يصره في وجهها ووجه
اخوتها الثلاثة ، وكان (جوانيتو) أكبر الأبناء يبلغ من العمر
ثلاثين عاماً ، وأخوه (فيلب) عشرين ربيعاً ، وكان (عمانويل)
يبلغ ثمانية أعوام ، ذا أنف روماني وظلمة جميلة ؛ ثم جمع أطراف
شجاعته ، وأخبرها برأى الجنرال ، فسرت رعدة الرهبة في
أوصالها ، ولكنها تشجعت ومضت تخبر أبها بما أسره اليها
فكتور ، وزادت عليه قولها : - أبي عليك أن تأمر (جوانيتو)
وعليه أن يصدع بأمرك اذا كان مخلصاً لك ، ففي طاعته إياك ،
وتلبسته لرغبتك اسمادنا ، فلما سمعت الأم ذلك ، أحست بالأمل
يعاودها ، وظنت أن نجاحهم أصبحت قاب قوسين ، وما علمت
أن الركيز إذ ذاك يطلب من ولده أمراً ، تهنيداً له الجيال هداً ،
وإذ تبينت حقيقة الأمر والطلب ارتدت الى الوراء ، تعلموها
صفرة اليأس ، وعرف جوانيتو السر فشارت دماء القضب
حارة في عروقه ، وهب ثائراً كالأسد ، قد ألقي نفسه أسير قفص
من الحديد ، بعد أن كان بطاً الثرى ، في زهو الأمير ، ويرى
القائمة كلها تكاد تضيق عن خطى أقدامه ، ولكن الأب هدأ
كل ذلك ، بأن قال : « جوانيتو »

فكانت إجابة جوانيتو هزة الرفض من رأسه ، وارتدى
خائراً على مقدمه ، يصمد ناظره في أبويه ، وقد تجلت الدهشة

على ظلم الانسان لأخيه الانسان ، ثم التفت ناحية الجماهير الذين عقدت الدهشة ألسنتهم ، فكانوا أسنما لا تتكلم ، أو تتحرك تأثراً من هذا المشهد المروع ، ثم مد يده الى جوانيتو ، وصاح في صوت قوى النبرات حادها ، وقال :

« أيها الاسبانيون ! إني أبارك ولدي ، وأهبه دعوات الأبوّة والآن هيا أيها الركيز . أطلع رأسي ، ولا ياخذك الخوف أو الرعب ، هيا . لا تثريب عليك »

فلي نداء أيه صامتاً حزينا ، وإذ ذاك أقبلت أمه ، منهوكة القوى ، خائرة الأوصال ، كيف لا وقد رأت أبناءها جميعاً ، وزوجها الركيز ، تطاح رقابهم ، كأشهم للماشية بل أحقر ، ذلك قلب الأم الذي :

لاربة النسيان ترى حم حزنه وترى بكاه
كلا ولا الأيام تبلى في أناملها أساه
إلا إذا ضفرت له الـ أقدار اكليل الجنون
وغدا شقياً ضاحكاً تلهو بمرآة السنون

أقبلت أمه متكئة على ذراع الكاهن ، ونظرت إليه نظرة الوداع ممزوجة بأحرّ الألم ، فساراًها حتى تنهت حواسه الخامدة وثار غاضباً ، وقال :

« إن نديها هذين قد أرضعاني صغيراً »

فانتفض الجميع ، حين سماعهم هذا ، وانثرت تلك الكلمات صرخة الفزع من قلوبهم جميعاً ، وسكنت ضحكات الضباط ، وعرفت الركيزة وقتئذ أن شجاعة جوانيتو وولت ، ولم يمد ذلك القوى ، فجمت ما تبقى من شجاعته البديرة ، ثم فزت من فوق قمة المنحدر فهوت إلى القاع ، وقد مزقتها الصخور الجائحة في أسفله شر ممزق ، فهتف الجمهور الشاهد هتاف

الاججاب ، أما جوانيتو فقد رقد مستجى معنى عليه ، فخلوه إلى الخارج حيث عاش وقد أسماه (El Verdugo) (الجللاد) من محمد مهدي

التويم المنطيسي ١٠
صحيحة بالصورة - كتاب علمي عملي
قراءة الأفكار وعلوم نفسية
سلكات العقل الباطن
سورج التنويم بالصورة
للأستاذ وليرم سر صيوسس النجاشي بمصر
تتبع الترعة البرلاقية رقم ١٥٦ البنية

ما عهد اليه ، وصدع هذا السكون الضارب أطبايه على المكان وقع أقدام عائلة الركيز ، يحيط بهم الجند مشهزين سيوفهم ، يلمع في ظباها الردى ، ولم تفارق الهيبة أفراد الأسرة ، وكانوا يتقدمون الى حيث النطم ممدود في خطوات هادئة ، لا أثر للخوف أو الاضطراب فيها ، غير أن أحدهم قد علتة صفة الأموات ، متكئاً على ذراع الكاهن الذى أخذ يهدى روعه المضطرب ، بترانيم دينية ، فمرف الجميع حينئذ أن (جوانيتو) سيقوم بمهمة الجلاد في اطاحة الرقاب ، وجنا الجميع قريين من المفصلة ، وأى مشهد آلم للنفس من أن ترى عزيز قوم ذل ؟ لقد كان الركيز وزوجته وابنتاه ، وولده ، أمام جوانيتو ، الذى أمر اليه الجلاد بمض الكلمات

حينذاك اقتربت (كلارا) من أخيها ، وصاحت به : جوانيتو ، ابدأ بي إذا أردت أن ترفق ... بشجاعتى النهوكة ... هيا .. أطلع رأسي أولاً ! !

وساعتئذ أبصر الناس الضابط (فيكتور مارشاند) مرعاً نحو (كلارا) التى جثت على ركبتيها تنأهب للأمر الواقع ، وتستمد لأن يطاح رأسها ، فلما حاذاها تماماً قال لها فى أذنها : « إن الجزال ليفو عنك ويهيك الحياة إذا رضيت بي زوجاً » فصوبت اليه نظرة ملؤها الكبرياء بنفسها ، والازدراء له ، ثم صاحت بأخيها ، كأها اللبوة الضارية : « هيا ، يا جوانيتو . . . فاني . . . على أتم الاستعداد . . . » وإذ ذاك أبصر الناس رأسها الجليل يتدحرج تحت قدمى أخيها ، وقد انفصل عن جسدها ، وسرت الرعدة فى جسد أمها ، ولكنها ملكت عواطفها ، وتقدم أخوه عمانويل وسأله : « أترانى فى مكانى تماماً . . . أيها العزيز جوانيتو ؟ »

ثم أقبلت اليه أخته الصغيرة (ماركينا) والدموع تهمز من عينيها ، فسألها : « أنيكين يا أختاه ؟ »

فقلت : نعم يا حبيبي جوانيتو ، إني أبكى من أجلك . . . لشد ما يؤلنى أن تظل وحيداً حين تنفقدنا جميعاً فلا نجدنا معك » ولكنه رفع السيف وأهوى به على رقبة الصغيرة ، وإذ ذلك تقدم منه أبوه الركيز ، فصوب ناظره ، وضعدهما ، فى دماء أبنائه الجارية تحت قدميه ، كأها المياه التدفقة شاهدة